

الفصل الرابع

الإخوان المسلمون

وخير أهل مصر الإخوان المسلمون . فجماعة الإخوان أقوى الجماعات الإسلامية في العصر الحديث وأقوى الجماعات الإسلامية في مصر وفي العالم منذ نشأتها في ١٩٢٨م وحتى الآن ، وأهم ما يجعلها كذلك ويشهد لها بذلك خصائص تتميز بها وتتفوق فيها بمراحل على غيرها من الجماعات والأحزاب في مصر وخارج مصر .

البذل والتضحية :

لا يوجد أعضاء حزب من الأحزاب أو جماعة من الجماعات قدموا من التضحيات وبذلوا من العطاء بمثل ما قدم ويقدم رجال الإخوان لجماعتهم . وكان قدوتهم في ذلك بالطبع مرشدهم الأول ومؤسس الجماعة الشهيد حسن البنا .

كان الرجل الأول على دفعته في كلية دار العلوم وكان لمثله أن ينتظر دوره في البعثة أو يسجل في الدراسات العليا ويحلم بالسلك الجامعي ، ولكنه وجد العالم العربي

والإسلامي من حوله في حالة يرثى لها . كان الذئب الأغبّر والعلماني الفاجر مصطفى كمال أتاتورك قد قام بإلغاء الخلافة ، وكان الاستعمار قد وضع يده على تركة الرجل المريض وقسمها بين البريطانيين والفرنسيين والطلّيان وحكمت معظم بلاد المسلمين في المنطقة بقوانين مستمدة من قوانينهم وتم التصريح بالبغاء الرسمي في معظم بلاد المسلمين ومن بينها مصر وكان بيت الشعر المفضل عند حسن البناء وهو طالب يدرس بدار العلوم :

إذا القوم قالوا من فتى خلت

أنى عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

ونذر نفسه لقومه ولدعوته وأنشأ جماعته وأعطاهها كل عمره وكان من حسن البناء ما لم يأت به أي زعيم أو أي داعية أو أي رئيس لحزب من الأحزاب أو جماعة من الجماعات في تاريخ مصر الحديث .

لقد زار حسن البناء ثلاثة آلاف قرية على الأقل من حوالي أربعة آلاف قرية هي كل قرى مصر يومها . نزلها داعيا وواعظا وخطيبا مفوها ومربيا فأنشأ فيها شعبا

وربى رجالا وشبابا وأحكم تنظيمه على مستوى المدينة والقرية وفى تنظيمه وضعت أكثر من رسالة جامعية . وأبلى رجاله بلاء حسنا في حرب فلسطين بشهادة كبار القادة العسكريين مثل الماوى وأحمد عبد العزيز واستضاف المركز العام للجماعة قادة حركات التحرير والمقاومة من سائر البلاد العربية ومن أفريقيا . كل هذا في عقدين فقط من الزمان فقد تكالبت عليه قوى الشر والطغيان فاجتمع عليه الملك والاستعمار ووزارة السعديين في عهد إبراهيم عبد الهادي واغتالوه على قارعة الطريق ولقي ربه شهيدا في سبيل دعوته وهو بعد في الثانية والأربعين من عمره ! فأى بذل وأي تضحية وأي عطاء أكثر من أن تقدم حياتك فداء لدعوتك !!

والناس على دين ملوكهم والإخوان على دين مرشدهم فجاءت تضحياتهم على نفس الدرب وبنفس المستوى .

من شهدائهم على سبيل المثال وليس الحصر من أزكى وأطهر وأعظم الرجال القاضي والفقيه عبد القادر عودة أعلم أهل الأرض جميعا قديما وحديثا بالتشريع الجنائي

الإسلامي مقارنة بالقانون الوضعي .

وإمام المجاهدين وفقه المناضلين في فلسطين وعلى
خط القنال الشيخ محمد فرغلي وأصحابها في محنة ٥٤ .

وشهيد الظلال سيد قطب صاحب أعظم تفسير للقرآن
ظهر في العصر الحديث وصحبه الكرام في محنة ٦٥ .

وواحد وعشرون شهيدا سقطوا دفعة واحدة في
مذبحة سجن طره برصاص كلاب صيد عبد الناصر .

ومئات سقطوا من هول التعذيب وشدته في السجن
الحربي وفي السجون والمعتقلات الناصرية وآلاف عذبوا
أشد وأبشع أنواع التعذيب الحديثة كالصعق بالكهرباء
والتعليق على العروسة ونكل بهم وصبروا ولم يضعفوا
واحتملوا وثبتوا على مبادئهم كالجبال الشم الرواسي
وآلاف قضوا في السجون الناصرية مددا تراوح ما بين
عقد وعقدين كاملين من الزمان وخرجوا كالطود الأشم
محتسبين ما قدموا عند الله ومن أجل دين الله وحتى الآن
يؤخذ منهم العشرات والمئات من الصفوة ومن أرقى
فئات المجتمع من أساتذة جامعات وأطباء ومهندسين
وقيادات من النقابات المهنية وكلهم مدنيون ويا للعار

يحاكمون أمام محاكم عسكرية أو يلقي بهم بغير محاكمات أو تصدر لهم عشرات الأحكام بالبراءة ولا يفرج عنهم دون ذنب اقترفوه إلا لأنهم من الإخوان المسلمين ويقولون جماعتهم محظورة ولا ندرى والله ولماذا هي محظورة؟! ويعلم الله ونعلم أنها محظورة لأنها تكتسح في أي انتخابات نزيهة، وما استمر العمل بقانون الطوارئ أكثر من ربع قرن متصل في مهزلة وفضيحة قانونية ودستورية ندر أن تكرر أو تتكرر في أي بلد من بلدان العالم الحر وما ذلك منهم إلا من أجل مطاردتهم واضطهادهم للإخوان المسلمين بالذات .

الوسطية والاعتدال :

كل فقهاء الإخوان من الفقهاء العدول لا يعرفون التشدد ولا التطرف ولا التكفير ولا الغلو في الدين وبمجرد ما ظهرت مذاهب التكفير والتشدد عند بعض الشباب الذي قاسى ويلات التعذيب في السجون الناصرية نذر المرشد الثاني المستشار حسن الهضيبي نفسه وهو في قلب المحنة لقول الكلمة الفصل والحكم الرشيد في هذا الأمر فترك لهم من بعده كتابه القيم «دعاة لا قضاة» .

والفقيه الأديب فقيه الاعتدال والأولويات صاحب
الأسلوب العذب والسهل الممتنع الشيخ محمد الغزالي
من تلاميذ حسن البنا .

والدكتور يوسف القرضاوى فقيه العصر ورئيس
رابطة العلماء المسلمين على مستوى العالم من تلاميذ
حسن البنا .

والشيخ سيد سابق صاحب فقه السنة من تلاميذ
حسن البنا وكل أولئك على سبيل المثال وليس على سبيل
الحصر بالطبع .

الاستمرارية :

بعد عقدين فقط من الزمان يصبح تاريخ دعوة
الإخوان قرناً كاملاً أي مائة عام ومع الأيام تزداد
دعوتهم قوة وصلابة ، وكما أن الطرق على الحديد يزيده
صلابة كذلك زادتهم المحن وتزيدهم السجون
والمعتقلات قوة وعافية وتزيد من أنصارهم يوماً بعد يوم
وخاصة بين طائفة الشباب تراهم الآن يكتسحون في كل
انتخابات نزيهة وبالذات بين أوساط المثقفين وفي
النقابات المهنية بين الأطباء والمهندسين والعلميين وانظر

كيف اكتسحوا بضرارة في انتخابات مجلس الشعب في ٢٠٠٥ في المرحلتين الأولى والثانية حينما جرب النظام أن يجعلها نزيهة ليرى فرأى ما لا يسره على الفور وعاد لعادته السيئة القديمة في المرحلة الثالثة .

ولك أن تسأل وتحلل وتفسر كيف نجح شاب من شباب الإخوان وهو الدكتور الصيدلي حسن يوسف على يوسف والى في عقرة داره في الفيوم بعد بقاء الأخير في السلطة والأضواء أكثر من ربع قرن وكان الرجل الثاني في حزبهم الكاسح كما يدعون . وكيف ينجح شاب من شباب الإخوان هو تيمور عبد الغنى على خالد محي الدين في عقرة داره في كفر شكر والأخير من رجال الحركة ورئيس حزب التجمع وظل تحت الأضواء من يوم قيامها وحتى رسوبه المهين أمام مرشح الإخوان المسلمين . وأعلن رسميا على الملأ فوز حازم صلاح أبو إسماعيل على أمال عثمان وبعده بكائها واتصالها بالمسؤولين تم تزوير النتيجة وتعديلها ويبد قاض من ضعاف النفوس .

وامتداد عمر الإخوان على مدى القرن واستمرارية

دعوتهم يميزهم عن سائر الأحزاب والجماعات ربما لا يجاريهم في ذلك إلا حزب الوفد ومع ذلك وفي انتخابات ٢٠٠٥ كان نصيب الوفد مجرد عضوين أو ثلاثة ونصيب الإخوان ٨٨ عضوا .

العالمية:

جماعة الإخوان التنظيم المصري الوحيد الذي اخترق الحدود وانتشر عالميا بصورة غير مسبقة وفي كل بلاد العرب ومعظم بلاد المسلمين يوجد إخوان مسلمون وهناك التنظيم الدولي للإخوان .

وفي بعض البلدان حققوا انتشارا واسعا ونصرا مؤزرا كما حدث مؤخرا في فلسطين على يد حماس حيث وصلوا إلى الحكم وشكلوا الوزارة حينما أجريت الانتخابات بنزاهة .

وهذا الانتشار العالمي والامتداد لخارج حدود مصر لم يتحقق لحزب من الأحزاب المصرية أو جماعة من الجماعات في العصر الحديث . ونسأل كيف لا تشرف مصر ويشرف كل مصري أن تخرج من بلده دعوة تكتسب أنصارا لها في كل أنحاء العالم .

الرجاء والأمل :

يقول جمال حمدان في كتابه القيم شخصية مصر : « إن مصير مصر ومكانتها في العالم سيحددها مصيرها ومكانتها في العالم العربي ومصيرها ومكانتها في العالم العربي سيحددها مصير فلسطين » .

ثم يقول : « وليس أمام مصر من فرصة ذهبية لاستعادة كامل وزنها وزعامتها إلا بتحقيق نصر تاريخي مرة واحدة وإلى الأبد بتحرير فلسطين كاملة تماما مثلما فعلت مع الصليبيات والمغوليات في العصور الوسطى » .

ثم يضيف : « ولن تصبح مصر دولة حرة قوية عزيزة متقدمة يسكنها شعب أبي كريم متطور إلا بعد أن تصفى وجود العدو الإسرائيلي من كل فلسطين . فبهذا وبه وحده تنتقم لنفسها من كل سلبيات تاريخها وعمار حاضرها » .

ولك أن تسأل نفسك وبكل أمانة هذه المهمة المقدسة من لها؟! ومن يقدر عليها من بين كل التيارات السياسية المطروحة على الساحة في مصر الآن؟

صدقني ليس لها غير الإخوان ! فكرا ومنهجاً وقدرة
 واستطاعة ، فإن كل الأحزاب المصرح بها الآن على
 الساحة أحزاب ورقية أي على الأوراق فقط وليس لها
 رصيد حقيقي في الشارع السياسي وكلها علمانية المنهج
 والفكر يرددون في غباء منقطع النظر ما لا يفقهون وما
 ليس له مكان في ديننا يقولون : لا دين في السياسة ولا
 سياسة في الدين ونسألهم : وتحرير المسجد الأقصى دين
 أم سياسة ؟ والجهاد ذرة سنام الإسلام دين أم سياسة ؟
 إن عدونا الذي احتل أرضنا أقام دولته عليها على
 أساس ديني ونصوص توراتية وتلمودية محرفة ويزعج
 القوم عندنا ولا يعجبهم قول البعض : الإسلام هو الحل .
 الإخوان وحدهم يعلمون ويفهمون من صحيح
 الدين أن السياسة من الدين مثلها مثل الاقتصاد
 والاجتماع وسائر شؤون الحياة قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ
 صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ويعلمون جيدا أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة ولن تقوم الساعة حتى نحارب يهود .

هذا عن فكرهم أما عن قدرتهم فهم الأقدر بلا شك وقد زادتهم المحن والتجارب صلابة عبر صراعهم المرير مع النظامين الملكي الفاسد والديكتاتوري العسكري الفاجر .
ويكفى أنهم على درب مرشداهم الأول يسيرون
وبيت الشعر المفضل لديهم :

إذا القوم قالوا من فتى خلت

أنى عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

هم الرصيد المدخر والقادر والمؤهل لهذه المهام الصعبة
والمقدسة هم الرجاء والأمل هم طوق النجاة يا قوم ،
هم الفتى إذا القوم قالوا من فتى ؟

وهذا قليل من كثير وإذا أردت أن تقترب من
الإخوان وتعرف عنهم أكثر وأكثر فعليك بالإطلاع
بنفسك على آثارهم التي تركوها ، وكتبهم التي ألفوها .

إن من المعروف أن الشهيد حسن البنا لم يؤلف كتبا
وإنما ألف رجالا ومعظم هؤلاء الرجال الشوامخ
الصادقين كل منهم ترك مسيرته في كتاب يحكى قصته مع

الإخوان ، فليكن هذا مصدرك ولا تسمع في ذلك إلى ما يقوله ويردده الأفاقون من أصحاب الأقلام المأجورة في صحافة النظام ، أو ما يردده البعض من بقايا كلاب صيد عبد الناصر وقباقيب السلطة وحراس أمن النظام الذي يعادى ويضطهد الإخوان .

وما ندلك عليه مما يجب أن تقرأه وتطلع عليه بنفسك من مؤلفات قيادات الإخوان هو بالطبع على سبيل المثال وليس الحصر .

رجالات الإخوان من أبناء مصر كانوا متشرين في كل المجالات والتخصصات وأبناءؤهم وأتباعهم اليوم كذلك .

في المجال العسكري كان هناك البطل والطيار عبد المنعم عبد الرؤوف اقرأ كتابه «أرغمت فاروق على التنازل عن العرش» وسوف تجد في هذا الكتاب العجب بكل الصدق ممن يقدر الشرف العسكري وقال له محمد نجيب أول رئيس للجمهورية حينما زاره في ١٩٧٩ : «حبيبي أنت البطل وكلهم فئران كانوا يهربوا» .

وفي مجال الشرطة المصرية كان هناك المجاهد الكبير

صلاح شادي اقرأ كتابه «صفحات من التاريخ – حصاد العمر» وهو رجل قضى عشرين عاما خلف القضبان لأنه كما يقول أبى أن يقدم الدنية في ديننا في عهد عبد الناصر مع أنه هو الذي اجتمع بعبد الناصر يوم ٢١ يوليو قبل الانقلاب بيومين وانفرد به وتعاهدا معا وأشهدا الله على هذا العهد بقراءة الفاتحة لما سوف يتم يعد نجاح الانقلاب .

وهناك المجاهد حسن العشماوى ابن الوزير محمد العشماوى اقرأ كتابه «الإخوان والثورة» لتجد كيف استعان به عبد الناصر يوم حريق القاهرة لإخفاء بعض الأسلحة والذخائر ، فتم نقلها إلى منزل حسن العشماوى تمهيدا لنقلها إلى عزبة والده محمد العشماوى بالشرقية وتعجب إذا علمت أنها نفس الأسلحة التي أمر عبد الناصر بضبطها وقدم فيها حسن العشماوى للمحاكمة بتهمة إحراز سلاح بهدف قلب نظام الحكم في يناير ٥٤ وانظر وتأمل ماذا فعل ابن موظف البريد مع ابن الوزير فكل بالطبع يعمل على شاكلته وتخرج أفعاله من مشكاة أصله .

ومن المدنيين أيضا المجاهد الكبير فريد عبد الخالق اقرأ كتابه «الإخوان المسلمون في ميزان الحق» وكيف قال له عبد الناصر باللفظ الواحد: أنا أشعر أنى أستطيع أن أصل خلال ستين أو ثلاث إلى وضع يمكنني فيه أن أضغط على زر فتتحرك البلد كما أريدها وأن أضغط على زر فتقف .

وكان وما زال للمرأة دورها العظيم في جماعة الإخوان المسلمين وعلى سبيل المثال هناك الداعية والمجاهدة الكبيرة زينب الغزالي اقرأ كتابها «أيام من حياتي» .

لو قرأت هذا الكتاب بمجرد انتهائك من قراءته سوف تردد مع نفسك امرأة بألف رجل حقا .

كانت رئيسة جمعية السيدات المسلمات على عهد الملك وكان هذا يكفيها لخدمة دينها وبلدها وبنات جنسها ، ولكنها كانت تبحث وتنقب عن الطريق الأمثل والدعوة الحق التي تعطى فيها وتبذل فيها أكثر وتخدم من خلالها دينها أكثر وأكثر واستقرت على جماعة الإخوان وبايعت الإمام الشهيد حسن البنا ، وأصبحت من الأخوات المسلمات وضمن جماعة الإخوان المسلمين ودفعت الثمن غاليا واحتملت من صنوف التعذيب والتنكيل ما لا

يحتمله بشر وقالت للطاغية : «لا» يوم استنوق الرجال ، كتاب يجب أن تقرأه كل فتاة مسلمة لتعرف كيف تكون القدوة بحق وكيف يكون المثل الأعلى الذي يحتذي بحق .

وكل ذلك على سبيل المثال وليس الحصر من شوامخ الرجال في مسيرة دعوة الإخوان تركوا آثارهم في كتب مسجلة للتاريخ تعرف من خلالها حقيقة الإخوان ويعرف جيدا معدن الرجال في جماعة الإخوان .

وإذا أردت أن تعرف شيئا مفصلا عن تاريخ الجماعة فهناك من المؤرخين لها ممن وفقه الله من أبنائها لذلك وأرشح لك هنا أيضا على سبيل المثال كتابين فقط أولهما فيه تطويل غير ممل وهو «الإخوان المسلمون – أحداث صنعت التاريخ» لصاحبه محمود عبد الحلیم وثانيهما فيه اختصار غير مغل «في قافلة الإخوان المسلمين» لصاحبه عباس السيسى .

وأما عن الرسائل الجامعية والدراسات العلمية التي وضعت عن جماعة الإخوان فأرشح لك هنا كتابين أيضا على سبيل المثال فقط :

من مصر الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في

الحياة السياسية المصرية ٢٨-٤٨) رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث لصاحبها الدكتور زكريا سليمان بيومي .
ومن الخارج كتاب (الإخوان المسلمون) لصاحبه
د/ ريتشارد ميتشل .



الخاتمة

خلاصة ما آمنت به وأراه الحق الأبلج والحقيقة الناصعة أسوقه في عبارات مختصرة ومحددة وصریحة وواضحة وضوح شمس النهار .

المسلمون خير الناس على وجه الأرض وأحمد الله أن جعلني برحمة منه وفضل مسلماً .

وخير المسلمين أهل السنة وأحمد الله أن جعلني برحمة منه وفضل من أهل السنة ، وخير أهل السنة أهل مصر ، وأحمد الله أن جعلني برحمة منه وفضل من أهل مصر .

وخير أهل مصر في نظري الإخوان المسلمون وأحمد الله أن جعلني برحمة منه وفضل من الإخوان المسلمين .

وعلى ذلك فأنا الفقير إلى رحمة ربه والحمد لله خيار من خيار من خيار من خيار والحمد لله مقلب الليل والنهار والصلاة والسلام على نبيه المختار .

تلك خلاصة تجربتي وخلاصة ما خرجت به من حياتي أحيا عليها بقية عمري وأموت عليها . أدخل بها قبوري وألقى عليها ربي ، وكل توفيق وسداد من الله وحده والله حسبي ووكيلي نعم المولى ونعم النصير ، والله من وراء القصد وعلى الله قصد السبيل .